الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

زهديات بكر بن حماد ورثائياته
- دراسة فنية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي

تخصص: الأدب العربي

إعداد الطلبة:

- نادية لشهب
- ليلى مزهود
- بشرى لعور

إشراف الأستاذ:

مسعود بن ساري

السنة الجامعية:2012/2011

دعاء

يا رب

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع. وقلب لا يخشع. ونفس لا تشبع. ومن دعوة لا يستجاب لها. اللهم باسمك نقتدي وبهديك نهتدي. وبك يا معين نسترشد ونعين. فنسألك أن تملأ بنور الحق بصائرنا، اللهم لا تصبنا بالغرور إذا نجحنا وباليأس إذا أخفقنا، وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح، اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا، وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا اللهم اختم بالسعادة آمالنا.

ربنا تقبل دعاءنا.

آمين

يا رب

شكر وتقدير

قال الحق سبحانه: "**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**"

(سورة إبراهيم، الآية7)

فالحمد والشكر أولا وأخيرا لله – عز وجل– الذي فبشكره تدوم النعم. بسم الله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى ومن تبع دينه واكتفى، نحمد الله خالق الكون على جزيل النعم بتوفيقه لنا لإتمام هذا العمل ونصلي ونسلم على نبيه الكريم نتقدم بجزيل الشكر لكل من وقف معنا في هاته المسيرة وأولهم الأستاذ المشرف بن ساري مسعود" الذي نكن له فائق الاحترام والتقدير.

كما نشكر كل من تشرفنا بدروسه ومحاضراته من أساتذة، وإلى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد.

إهداءات

إلى: - منبع الحنان والعطف، أمي الحبيبة. - من أنار لي درب حياتي، أبي الغالي. - إلى إخوتي الأعزاء: محمد، علي، نوال، ريمة، هاجر، دارين. - وهدهود وخالي بقالمة وجدتي وأعمامي. *أهدي ثمرة جهدي المتواضع.*

نادية

إهداءات

إلى التي تحت أقدامها الجنة، إلى من سهرت الليالي والأيام وتألمت لأفرح ورافقتني طيلة حياتي بالدعوات، إلى أغلى ما عندي .. أمي الغالية. وإلى من هو معلمي وقدوتي في الحياة، إلى الذي تعب كي أستريح وعمل كل شيء لأجل أن أتعلم وأستنير، وكان دوما خير سند لي.. أبي العزيز. إلى الشموع التي تنير طريقي في الحياة إلى الذين كانوا وما زالوا السند والمثل الذي أسير على خطاه، إلى منبع كبريائي إخوتي وأخواتي: إسماعيل، مولود، كمال، فاتح، وهيبة، بديعة، حسينية، فهيمة. إلى زوجي العزيز أحمد سراج قلبي وقنديل فؤادي ونبراس روحي حفظه الله ودام لي فخرا. إلى صديقاتي: بشرى، عائشة، منيرة، ثلجة، نادية، فاطمة، خديجة، نجاة. ختاما إلى كل من شهد بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا. إلى كل هؤلاء أهدي حصيلة جهدي وعملي.

ليلى

إهداءات

إلى وتر الإحساس بداخلي سيمفونيتي التي أعزفها حبا وأشدو بها طربا، إلى التي تقف الكلمات جامدة نحوها.. أمي الحبيبة وهيبة. رمز الوفاء، والعطاء أتمنى لك طوال العمر وأن يرزقك الله العمرة التي تحلمين بها. إلى من سهر ليعلمني وتعب ليربيني، وضحى ليسعدني أبي العزيز " عبد العالي " أتمنى لك العافية وطول العمر. إلى عزي وسندي أخواتي وأخواني: نوال، وصال، غدير، آية الرحمن، رؤوف، نعيم. إلى جداي: أحمد أطال الله عمرك ومحمد رحمه الله، وجدتاي: مربوحة وجميلة أطال الله عمركما. إلى كل عماتي وأعمامي، وخالاتي وأخوالي وعائلاتهم. إلى صديقاتي الغاليات: ليلى، عائشة، نادية، خديجة، مريم، يسرى، زينة، رحيمة. وإلى حبيباتي العزيزات: أميرة، إيناس، ريان، نبيلة، منال، أمينة، ياسمين، رحاب، دعاء، ملاك، عبير، شيماء، هدى، هاجر، زينب، ريمة، راضية. وأخيرا لوجه بريء علق بذاكرتي، وكل عائلة لعور وكل من يشهد بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا.

بشرى

فهرس المحتويات

الأقسام	الموضوعات	الصفحة
الدعاء	الدعاء	02
الشكر والتقدير	شكر وتقدير	03
الإهداءات	إهداءات	04
الفهرس	فهرس المحتويات	05
مقدمة	مقدمة	07
الفصل النظري:.....	بيئة الشاعر وشاعريته	09
المبحث الأول:.....	الحياة الفكرية في ظل الدولة الرستمية	10
المبحث الثاني:.....	الزهد في شهر بكر بن حماد	15
المبحث الثالث:.....	الرثاء في شهر بكر بن حماد	20
الفصل التطبيقي.....	الدراسة الفنية.....	22
المبحث الأول:.....	الأغراض الشعرية.....	23
المبحث الثاني:.....	الصور الشعرية.....	28
المبحث الثالث:.....	المدونة الشعرية.....	32
الخاتمة	خاتمة المذكرة	36
أولا:	الملخص	36
ثانيا:	النتائج	36
الفهرس	فهرس المصادر والمراجع	37

مقدمة

مقدمة:

الأدب الجزائري القديم أدب مغمور، لم يعرف النور إلا حديثا من خلال نفض الغبار عن المخطوطات، وأشعار موجودة في ثنايا الكتب القديمة، والذي دفعنا دفعا قويا لاختيار هذا الموضوع أن العديد من الباحثين والمستشرقين خصوصا لا يعترفون بهذا الأدب، لهذا اخترنا "بكر بن حماد" ليكون موضع دراستنا كوننا أبناء جلدته، ولنقوم بضحد هذه الفكرة. منطلقين من الإشكالية التي مفادها: هل يستحق بكر بن حماد ريادة الشعر الجزائري القديم؟ وقد ذهبنا في حل لهذه الإشكالية بتسليط الضوء على غرضي الزهد والرثاء اللذان اشتهر بهما "بكر" وذلك وذلك باعتمادنا على خطة منهجية متكونة من مقدمة ومدخل يليهما فصلين الأول نظري: وتطرقنا فيه لحياة "بكر بن حماد" وحال الأدب في ظل الدولة الرستمية، ثم عالجنا موضوع الزهد والرثاء، أما في الفصل الثاني وهو فصل تطبيقي: فقد قمنا فيه للتطرق لباقي الأغراض الشعرية، مع دراسة تطبيقية لغرض الزهد والرثاء من خلال المستوى اللغوي والموسيقي والصورة الشعرية. تليها مجموعة من الأسئلة طرحت على دارسي الأدب حول هذه الشخصية، وحول الأدب الجزائري بصفة عامة لتليها الخاتمة. وقد اعتمدنا في دراستنا عن المنهج الفني، وهذا لقدرتها لواسعة على الإلمام بهذا الموضوع، ونظرا لأهمية الموضوع اعتمدنا في توثيق معلوماتنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها: لسان العرب لابن منظور، دواوين الشعر للخنساء وامرئ القيس، وحلاج، وكذلك الذر الوقاد من شعر بكر بن حماد، تاريخ المغرب العربي الكبير، معجم فلسفي لجميل صليبا.. ولم نستثن الرسائل الجامعية فاخترنا رسالتين الأولى لأبي جرة سلطاني، والثانية لأحمد عقون.

الفصل النظري

بيئة الشاعر وشاعريته

المبحث الأول:
الحياة الفكرية في ظل الدولة الرستمية.
المبحث الثاني:
الزهد في شعر بكر بن حماد.
المبحث الثالث:
الرثاء في شعر بكر بن حماد

المبحث الأول؛ الحياة الفكرية في ظل الدولة الرستمية:

الدولة الرستمية [1] من الدول الأولى التي انفصلت عن المشرق في ذلك التاريخ البكر، انفصالا سياسيا، وهي أيضا أول دولة للخوارج، وكذلك يعتبر كل ما قدمه أبناء هذه الدولة في الميدان الفكري جديدا في المغرب العربي .

والحقيقة أن الرستميين بحكم ثقافتهم الواسعة، شجعوا الحركة الفكرية، فنشطت تيهرت في هذا الميدان كونها عاصمة دولة المستقلة .

ويعتبر عهد أفلح بن عبد الوهاب [2]أزهى عصور الدولة الرستمية ثقافة وفكرا بإضافة إلى رخاء الاقتصادي. ويذكر أبو زكرياء، أن الإمام أفلح، بلغ في الحساب الغبار واقتحامه مبلغ عظيم، وكان بإضافة إلى هذا، شاعرا مجيدا له قصيدة رائعة يحث فيها على طلب العلم ويحط فيها من قيمة الجهل، ويقول فيها :

العلم أبقى لأهل العلم آثـــارا = يريك أشخاصهم روحا وإبكارا

حي وإن مات ذو علم وذوو رع = ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

وذو حياة على جهل ومتقصـــة = كميت قد ثوى في الرمس أعصارا

والواضح أن أغلب العلوم المتداولة في (2هـــ، 3 هـــ)، هي العلوم الدنية كالتفسير والحديث والفقه وقد شهدت إقبالا لا منقطع النظير، حتى يخيل إلينا أن أغلب الناس كانوا فقهاء، أولهم حظ لا بأس به من الفقه [3]

وهذا يؤدي إلى وجود الكثير من حلقات الدينية التي تضم مسائل الفقه والحديث، وهذا لا ينفي بالضرورة انعدام الحلقات الشعرية، أو الشعراء أنفسهم، إذ أن أغلب أئمة دارسين في الفقه هم شعراء وفي طبعتهم شاعر والفقيه الرستمي بكر بن حماد . الذي نهل من كروع العرفة جميعها، إذ يصفه الأستاذ بونار بقوله : << إن هذه الشخصية هي أنبع شخصية في الشعر الغنائي بالمغرب العربي عامة

ولا تجد نظيرها في عمق تفكيرها وأصالتها البيانية وامتلاكها لموهبة شعرية محترمة إلا في الأندلس ويحق لمؤرخ الأدب في هذا العصر أن يصرح بأن ظهور بكر بن حماد في القرن الثالث ... هو أكبر مفخرة للأدب العربي المغربي .>>[1]

الدولة الرستمية في القرن الثالث الهجري

بكر بن حماد التاهرتي :

1 – حياته :

أ/ولادته ونشأته:

1–أسما عبد الرحمن، بن رستم ،وإن اتفقت كثير من المصادر على أنه من أصل فارسي، فإنه كان عربي المولد والمنشأ والمربى (ولد بالعراق وتربى بالقيروان، ثم عاد إلى العراق فتعلم بالبصرة، أنظر : إبراهيم بكير، بحاز: الدولة الرستمية، مطبعة لافوميك –الجزائر، ط، 1985، ص: 95 .

2–وهو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان، صاحب كتاب مسائل نفوسة الجبل، والذي يذكر بعناوين مختلفة منها " نوازل نفوسة " ونفوسة هو الجبل الذي كان يلقن فيه مسائل الصلاة أنظر : نفس المرجع السابق، ص: 267 .

3–إبراهيم بكير، بحاز: الدولة الرستمية، مطبعة لافوميك – الجزائر – 1985، ط1، ص: 293 .

1–نفس المرجع، ص: 363 .

هو أبو عبد الرحمان بكر بن حماد، بن سهل وقيل بن سهر، بن إسماعيل التاهرتي، ولد عام –**200 هـ** – تلقى دراسته أولى على يد مشاهير علماء تاهرت، وفقهائها وما زاد في علو كعبه أنه ولد في بيت علم وأدب، فوالده كان يحثه على طلب المعرفة فرحل ساعيا ورائها فبدأ رحلته سنة – **217هـ** – متجها صوب القيروان، إذ قرأ الفقه والحديث وبقية العلوم التي كانت تلقى بمساجد القيروان، على يد أكبر علمائها ومن بينهم : الإمام سحنون بن سعيد التنوخي [2].

الشيخ عون بن يوسف الخزاعي [3]

فاتجه بعدما تشبع من العلوم الدينية إلى المشرق، حيث أتفق جل الأدباء والمؤرخين على أن بكر لم تطل مدة إقامته بالقيروان وظاهر أنها كانت سنة أو أقل . أي في سنة –**218هـ**– اتصل بالخليفة المعتصم بالله العباسي، ومدحه ونال جوائز وعطايا .

وعليه فإن ليس لا يقع في ذهابه إلى العراق من عدمه، إنما يقع في الأماكن التي زارها قبل وبعد سفره إلى المشرق إذ أنه يصرح في نص أخر على أنه أنشد مقطوعة من شعره بالعراق ومصر وتاهرت والقيروان، لكن هل كان ذلك أثناء ذهابه إلى العراق أو بعد إيابه ؟ فهذا السؤال لا نجد له جوابا في النصوص التي بين أيدينا، لكن الواضح أن توفقه بمصر لم يطل بقدر ما طال بالعراق، إذ دخل البصرة والكوفة ثم استقر بدار الخلافة فنهل الحديث والشعر والفقه واللغة عن مشايخ وعلماء بغداد مثل : مسدد بن سرهد[1] وعمر وبن مرزوق [2].

ب/ رحلته إلى المشرق وعودته :

–أتيح لشاعر بكر بن حماد، الفتى الجزائري المعتد بنفسه، أن يجالس أدباء بغداد ومفكريها وفقهائها ومحدثيها.

حيث كانت الرحلة في طلب العلم مظهرا مشرفا ونبيلا في الثقافة العربية الإسلامية حيث ظل الناس يتبادلون الرحلة من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق خصوصا [3]

وما أفردناه بذكر سابق، أنه صاحب مشاهير فقهاء ومحدثي بغداد، وهذا ما أعطاه ميزه أن يكون راوية للحديث وعالما به فلقد شاع عنه أنه كان ذا ثقة، يروى عنه أهل السنة كما يروى عنه الخوارج وهذا لا ينفي أنه لم يتصل بأدبائها العباسية أمثال : أي تمام حبيب بن أوس طائي .دعبل الخزاعي [4]هذا الأخير الذي لم تجمعه به إلا عداوة التي

2– هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، كان حافظا للعلم، وهو إمام جليل، ولي قضاء إفريقية سنة 234 هـ، وتوفي سنة 240 هـ، وهو أول من نشر المذهب المالكي .

3–هو أبو محمد عون يوسف الخزاعي القيرواني، متوفى سنة 239 هـ .

ينظر: محمد بن رمضان، شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص: 45 .

1–هو أبو الحسن مسدد بن مسرهد الأسدي المحدث بالبصرة، أورد له صاحب الأنساب نبسين، توفي مسدد سنة 228 هـ –أنظر : بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية . ط1، 1985، ص 208 .

2–هو حافظ بصري : توفي سنة 224 هـ .

3–د.عبد المالك، مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دار هومه – الجزائر – 2009، ص: 38 – 39 .

4–هو أبو جعفر الحسن بن علي الخزاعي المتوفى سنة 246 هـ، قضي دعبل أكثر حياته ببغداد وكان مشهور بهجائه للملوك وتجاسرة حتى على الخلفاء ينظر : ابن خلكان : وفيات، ج2، ص: 266 – 270 .

جهل سببها إلى أن . وقولنا بأنه صاحبه أي أنه كان من معاصريه أما عن العداوة بينهما، فإن معظم المصادر اتفقت على أن بكر هو سبب في هروب دعبل الخزاعي من وجه المعتصم، وذلك أن بعض يزعم أن البيتين البائين الشهرين اللذين هجي بهما المعتصم كانا من وضع بكر بن حماد، لا من وضع دعبل وهما :

ملوك بني العباس في الكتب سبعـــة = ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة = كرام إذا عدوا، وثامنهم كلب

وقد أتى هذان البيتان على حياة دعبل، وهام على وجهه فارا إلى أن وافته المنية ببلاد المغرب في قول، وبلاد الأهواز في قول آخر [5].

إلا أن بكر تدارك عداوته لدعبل ورثاه في بيت شعري، نسبه إليه – محمد بن رمضان شاوش- في جمعه وتحقيق لأشعاره، التي قال فيها :

الموت غادر دعبلا بزويلة = وبأرض برقة أحمد بن خصيب [1]

لكن هذا البيت لا يبر غليلا، ولا يشفي عليلا، إذ أنه لم يتفرد بذكر دعبل لوحده، إنما رثى معه أحمد بن خصيب، وأيضا هو لم يقم بتفجع والحسرة على موته، إنما جاء على ذكره وذكر مكان موته كأنه مؤرخ يؤرخ لوفاة شاعر، لكن من جهة أخرى لا يمكننا الحكم على بكر بن حماد بأنه ظل يكن الحقد لدعبل حتى وفاته وحجتنا في ذلك، أن التاريخ سكت سكوتا مطبقا عن نشاط بكر وحياته الأدبية، ولا يكاد يذكر إلا مقطوعات أنشأها في مناسبات مختلفة .

وأيضا فإن أغلب المصادر المتأخرة، تذكر بأن بكر كان كثير العلاقات بالملوك والأمراء، يمدحهم ويهجوهم، كما فعل مع المعتصم بالله العباسي، رغم أنه وصله بصلات جزيلة

وعليه فإن بكر استطاع أن يفرض نفسه في بغداد، لمشاركته في النوادي الأدبية وأيضا لمصاحبته لكبار أدبائها أمثال: على بن الجهم والرياشي، وأبو حاتم السجستاني، وسواهم من الأدباء والمفكرين في العاصمة العباسية التي يبدو أنها كانت أهم مدينة وأكبرها في العالم أثناء القرنين الثالث والرابع للهجرة ...

-لما أصبح بكر بن حماد صاحب علم غزير حمل راحلته وعاد إلى المغرب العربي وأقام بالقيروان تحديدا، حيث تصدر التعليم هناك عام أربعة وسبعين ومائتين للهجرة، وقد ارتحل إلى الشيخ خلق كثير من أهل الأندلس وأخذوا عنه.

ومنه ما رواه المادعي، في وقوع مناضرة بين بكر وفقيه قيروان أحمد بن أبي سليمان داود الصواف[2]حول بيت شعري الذي أنشده بكر إذ قال فيه:

فيا سبحان من أرسى الرواسي = وأوتدها على السبع الشداد

5- ابن خلكان : وفيات، ص: 25 .

1-محمد بن رمضان، شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد / دراسة تقادم وجمع وشرح، سنة 2007، ص: 90 .

2-هو من تلاميذ الإمام سحنون، اشتهر بالحكمة، لأن أكثر كلامه كان في حكمه، توفي في سن كبير .- ينظر : المالكي: كتاب رياض النفوس، ج1، ص: 409 .

وعليه فإن عودة بكر لم تستقر في بقائه في القيروان فحسب إنما كان كثير تردد إلى مسقط رأسه تاهرت، حسبما يقتضيه صفاء الجو السياسي وتعكره، والواضح أنه لم يزر تاهرت لوحدها إنما زار

معها المغرب الأقصى، وما يثبت ذلك اتصاله بأمرائها ومدحهم أمثال: **أبا العيش عيسى بن إدريس** صاحب جراوة وهو أمير الذي أسس جراوة عام سبعة وخمسين مائتين

للهجرة [1].

مما يدل على أن بكر كان موجودا هناك في ذلك العهد، إذ لا يعقل أن المدح تم وهو ببغداد، أو تم وهو بالقيروان أيضا، وعلى الرغم من كل هذا، تظل حياة بكر بن حماد محفوفة بالغموض وضحالة المعلومات التاريخية، مما يجعل من طولها وهذا الضياع يرجع للأسباب عديدة لعل أهمها :

1/ إهمال المشارقة إنتاج المغاربة .

2/ إقامة بكر مدة طويلة بالمشرق، وهذا ما جعل المغاربة يجهلونه والمشارقة يتجاهلونه، فلم يحفلوا بشعره و لم يدونوه.

3/ عاش بكر بن حماد في قرن **3 هـــ**، وهو العصر الذي سماه بعض المؤرخين والمستشرقين الغرب بـــ : **<< قرون المغرب المظلمة"**.

2 – وفاته:

كانت عودة بكر إلى تاهرت ووفاته بها، سبب وشاية وقعت من منافسيه لدى الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغبه[2]فخرج فار من القيروان مصحوبا بابنه عبد الرحمان، ولما وصلا لمكان المعروف بقلعة ابن حمة على مسافة قريبة من تاهرت تعرض لهم لصوص لئام ،– نفترض أنهم كانوا مدفوعين إلى قتل بكر بن حماد، وبكر هو أول من اغتيل من الشعراء الجزائريين، وما أشبه اليوم بالبارحة !

فجرحوا الأب وقتلوا الابن، وقعت هذه الحادثة عام = **295هـــ**=ثم إن حماد هام على وجهه إلى أن وصل تاهرت، وبها صعدت روحه إلى رفيق الأعلى في شهر شوال من عام =**296هـــ**=وعليه فإن بكر عاش بعد وفاة ابنه بضع شهور ولا نعرف فيما إذا كان بقية أفراد أسرة الشاعر كانوا معه فنجو، أو لم ينجوا ...

3– آثاره:

أول شيء لاحظناه وهو قلة شعره، إذ لم نحفل إلا بقليل من أشعاره المبعثرة بين صفحات الكتب وثنايا المخطوطات والتي قام بجمعها –**رمضان شاوش**– في متابه "**الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد** "حيث أجمع على أن شعر بكر تعرض للانقراض في معظمه، فلم يجمع له سوى مائة وثمانية أبيات وشطر . ولعل ذلك يعود إلى أن شعره لم يدون في الكتب فلم تكتب له الحياة، فظل ينتقل مشافهة فكتب له تحريف والتزييف والحذف، وعليه فلقد جاءت هذه أبيات موزعة في عدد من مقطوعات كتالي :

1–ينظر : البكري، كتاب الملك والممالك : (القسم الخاص بالمغرب) ص: 142 .

2–هو تاج أمراء الدولة ألأغلبيته، كان معروف بإبراهيم الأصغر تولى حكم افريقية – من عام 271 هـــ إلى عام 289 هـــ (ينظر : كتاب : المالك والممالك، البكري " القسم خاص بالمغرب "، ص: 143 .

أ- **الزهد** :ـــــ يضم أربعة وثلاثين بيتا موزعا على خمس مقطوعات .

ب- **الرثاء** :ـــــ يضم تسعة عشر بيت موزعا على خمس مقطوعات .

ت- **المدح** :ـــــ له فيه ثلاث مقطوعات : أولى : 2 بيتين، ثانية : 7 أبيات، ثالثا : 3 أبيات.

ث- **الهجاء** : ـــ فيه قصيدتان الأولى 17 بيتا، الثانية 9 أبيات، ومقطوعة من 7 أبيات .

وعليه فإن مجموع المقطوعات هو تسع عشرة، وكلها مقطوعات قصيرة ماعدا القصيدة التي ها جاها الشاعر " **بن حطاب** " [*] والتي تتضمن ستة عشرة بيت.

*/ هو عمران بن حطاب : تابعي مشهور وأحد رؤوس الخوارج، قام بمدح قاتل لأمام علي عبد الرحمان بن ملجم، أشتهر بن حطاب في الشعر والفقه والفتوى، كان من أنصار الخوارج وأشدهم دعوة، توفي بالكوفة عام 89 هـــ، أي أنه أدرك صدرا من صحابه (ينظر : ابن منظور، لسان العرب، ج2، ط1، مطبعة بولاق، بلا تاريخ، ص: 436 .

المبحث الثاني؛ الزهد في شعر بكر بن حماد:

فإذا ما انتقلت إلى تتبع نشأة الزهد ،وظهور إرهاصاته الأولى في المغرب الإسلامي وجدنا أن إفريقيا وعاصمتها القيروان كانت المنطلق لانتشار الثقافة العربية الإسلامية ومن ثم الزهد والتصوف عبر المغرب الإسلامي كله بما في ذلك الأندلس[1] وطبيعي أن تتأثر ت مرت بهذا التيار ،كونها بلد المجاور لها وبحكم هذه الجيرة وقع تقليد وجاء لاحتكاك بالعلماء وفقهاء المالكين ،فظهرت دينية مبكرا كمذهب الخوارج والشيعة ، الصفرية ،والاعتزال ....."

– وعليه فالبديهية تفرض علينا أن يتأثر بكر بهذا التيار لكن ما يضعنا في موضع كبس هو : متى اكتسب بكر نزعته الزهدية ؟ هل اكتسبها بذهابه إلى القيروان واحتكاكها بفقهائها وكبار علمائها ؟ أم أنها بذرة في نفسه لم تظهر نتاجها إلا برؤية المشرق ببغداد ؟.

– أم أنها نزعة تقليدية أو محاكاة لما شهده العصر في تلك الفترة ؟ أي تيار المجون والزندقة والزهد وتأثر بكر بتيارا الزهد الذي تأثر به جملة من شعراء وأدباء ولإجابة على هذه الأسئلة ما علينا إلا أن نفك بعض المفاهيم المبهمة والتي من بينها " مفهوم الزهد".

ا / **لغة:** وهذا ما جاء في " سكان العرب" لابن منظور عن الزهد إذ يقول : " الزهد والزهاد في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص على الذين... والتزهيد في الشيء وعن الشيء: خلاف الترغيب فيه، وزهده في الأمر رغبة عنه وفي الحديث الزهري سئل عن الزهد في الدين فقال:" هو أن لا تغلب حلال شكره ولا حرام صبره أراد لا يعجز ويقصر شكره على ما رزقه الله تعالى من حلال وصبره عن ترك حرام" .[1]

ب/ اصطلاحا: لقد ارتبط مفهوم الزهد بالجانب الديني أيما ارتباط، وهذا لا يعني أنه ظهر في صدر الإسلام ومع انتشار رسالة المحمدية ، إنما كان له وقع في الجاهلية ، لكنه كان بمفهوم آخر، كقلة الشيء من زاد ومال وهذا ما جاء على ذكره الأعشى عندما مدح قوما بحسن مجاورتهم جارة لهم فقال:

فلن يطلبوا أسرها للغني ولن يتركوها لإزهادها.

يقول لن يتركوها لقلة مالها وهو لإزهاد[2] ومعناها إن هؤلاء القوم لا يسلمون جارتهم لأي شخص يريد هتك حرمتها لاشيء إلا لقلة مالها وفقرها .

وعليه تطور هذا المفهوم بنزول القرآن الكريم .إذ قال سبحانه وتعالى : "فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"[3] هذه الرياضية الروحية مارسها رسولنا الكريم ،ومن جاء بعده من حاجة وتابعين ورجال الذين ....

1– ابن منظور: لسان العرب ،بيروت ،لبنان ، ط1 ، ج 14 ،ص: . -

2– المصدر نفسه ، ص: 88.

– سورة المائدة، الآية :54. 2

3– جميل، صليبا: المعجم الفلسفي ،ج1 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت 1982 ، ص: 640.

وعليه فلقد صاحب تيار المجون والزندقة الذي شهده القرن ثالث هجري " تيار معاديا له وهو الزهد ،فجاءت على أثره مصطلحات دينية شتى ، حسب توجه كتقشف والتصوف هذا الأخير الذي مع مصطلح الزهد بل أن البعض يجعل شيء واحدا، وعليه سنحاول التفريق بينهما.

2/ الفرق بين الزهد والتصوف:

إذا كان الزهد هو إعراض عن الدنيا وطلب الآخره ،فهل استطاع التصوف تخطي هذا الكمال للوصول إلى كمال أعظم ؟

ولكي نبرز هذا الاختلاف يجب علينا أولا أن نحدد مفهوم التصوف

- **تعريف التصوف** : لقد أفاض الباحثون في تغليل هذه التسمية ، فأعادها بعضهم إلى صفاء القلب ،وردها آخرون إلى الصفة [1]ومنهم من أحالها إلى لفظ صوفيا اليوناني الأصل الذي يعني الحكمة ، على أن الغالب – كما أشار ابن خلدون – أنها من الصوف الذي اتخذه النساك [2].

ولقد عرف حاجي خليفة علم التصوف بأنه : علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم ، والأمور العرضة لهم في درجاتهم ، بقدر الطاقة الإنسانية ونفهم من خلال هذا التعريف أن ستتصوف طرقة الخاصة وأن المتصوفة تعرض لهم وهي الكرامات أو المتكاشفات فالتصوف يهذب النفس ويرقق القلب ويتمي المراقبة الذاتية /والمحاسبة الداخلية للسلوك ، ليبقى المسلم ملتزما بالشرع منصرف في أعماله وتصرفاته إلى مرضاة الله تعالى ولهذا يعتبر صورة مشرقة في نظر بعض المسلمين لنشر الإسلام ،ودخول بعض الغربيين عن طريقه إلى الإسلام ، لأنه يلبي الخواء الروحي والنفسي الذي يعيشه الغربي في حياته الفكرية

ولهذا كان للتصوف ونظرياته ومبادئه اهتمام خاص لدى بعض المستشرقين وعلماء الغرب [1].

ومنه فإن التصوف بمعناه الصحيح يصعب رده إلى أصل واحد ، فلقد تداخلت في أصولها الأولى نزعات مختلفة بعضها ديني في أصولها الأولى نزعات وبعضها أخر فلسفي ، إلا أن الأديان السماوية دون استثناء جاءت جميعها بهذه الدعوة بشكل أو بأخر وإن اختلفت في صورها ودرجة الاهتمام بها ،وما من بني أو رسول إلا ودعا قومه إلى هذه الحياة الروحية ، قال سبحانه وتعالى : " وَلَقَدْ بَعَثَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ أعْبُدُوا الله واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتْ "[2]

وتعتبر الديانة المسيحية –مثلا – من أكثر الأديان دعوة للروحانية وبناءا على هذا نشأت الرهبانية المسيحية ، ثم جاء الإسلام فدعا "إلى تعزيز الناحية المعنوية في الحياة ،وحبب إلى الناس الفضائل ،ورفع من شأن القيم الروحية .

---

1 – الصفة : وهي السقيفة التي رفعت للفقراء المتعبدين خارج مسجد المدينة .

2 – أنظر : ابن خلدون: المقدمة ،دار إحياء التراث ، بيروت ، ص: 467.

1– انظر : د الزحيلي ، تعريف عام بالعلوم الشرعية ، ص: 189.

2 – سورة النحل ، الآية: 36.

فتحن عندما نتكلم عن التصوف ، أو مذهب الصوفية soufisme ، تدخل في ناحية من أروع من نواحي الفكر الإسلامي ، بل الحضارة الإسلامية ، ولكي تتضح لنا صورة هذه الناحية ،وجب علينا أولا أن نحدد المسار التاريخي الذي سار عليه هذا المذهب معتمدين في ذلك على تقسيم الذي أتى به المؤرخون والمتمثل في مرحلتين أساسيتين هما :

1-المرحلة الأولى : وهي مرحلة ما قبل التنظير أو مرحلة العمل والممارسة وتبدأ بعهد الصحابة – رضوان الله عليهم –إلى غاية النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة – 2هـ- "إذا أن صحابة الدين صحبوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لم أدركهم أهل العصر الثاني -2هـ- أصبحوا تابعين ثم أختلف الناس بعد ذلك في تسميتهم ، وتباينت المراتب فقيل للخواص الناس ممن لهم شدة العناية بأمر الدين زهادا وعباد ، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق دعوا أن فيهم زهادا "[1]

2/**المرحلة الثانية** : "مرحلة التنظير والتأمل الفلسفي "

تبدأ بدخول الثقافات الأجنبية من يونانية وفارسية وهندية .

وما تحويه من أفكار تتعلق بالزهد والإشراق ، فتبلور المذهب الصوفي ، وصار علما قائما بذاته ن فالمسلمون يروى أن فكرة الحلول التي سادت في القرن 3ه –تنقص رسالة الإسلام في وحدة الله وتنزيهه عن الإنسان وصفاته .....

المسلمون يرون الصوفية المتأخرة ضربا من التحريف الإسلام إلى المسيحية المحرفة وهي المسيحية الحولية "[2]

-ولكن التصوف ما فتئ ، في تلك الأثناء ، يوغل في الرمزية واستخدام المصطلح الغريب والغامض ، وقد برز في هذا الباب متصوفوا البسطامي (262ه-/875) والعلاج (ت 309 ه/922 م) فلقد بيث كل متهم أقوالا غريبة تسمى " بالشاطحات " مثل :سبحاني ما أعظم شأني ، ولا أنا الحق ، أي أن الله ...الخ ولقد جنت هذه الأقوال على صاحبهم –العلاج – حيث صلب وقطعت يداه ورجلاه ثم أعدم في حادثة تاريخية سقيرة نذكر فيهم : عن أبي الشلبي قال : قصدت الحلاج وقد قطعت يداه ورجلاه ، وصلب علي جدع ، فقلت له ما التصوف

فقال : أهون مرقاة منه ما تري

فقلت له : ما أعلاه .

فقال : ليس لك إليه سبيل ،ولكن سترى غدا فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك

فلما كان وقت العشاء جاء الإذن من الخليفة أن تضرب رقبته .

فقال الحرس : قد أمسيت ،تؤخر إلى الغد ،فلما كان من الغد أنزل من الجدع وقدم لتضرب عنقه ، فقال بأعلى صوته : حسب الواجد إفراد الواحد له ،ثم قرأ : " يَسْتَعْجِلُ بِهَا الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالّذِينَ اَمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ويَعْلَمُونَ أَنّهَا الحَقُ "[1].

1– النص نقله – د- محمد الزحيلي ، تعرف عام بالعلوم الشرعية – بتصرف –

2 –يتظر: محمد البهيمي ، الفكرة الإسلامية في التطور ، ص: 24.

1 – سورة الشورى ،الآية : 18.

وقيل هذا أخر شيء سمع منه ،ثم ضربت عنقه ولف في بارية لتنسفه الريح [1].

هنالك ثلاثة أشياء نلحظها من خلال هذه الحادثة

أولها : أن التصوف هو أعلى مرتبة من الزهد ، وما لزهد إلا بدرة أولى له .

ثانيها : أن المتصوفة تعرض لهم مكاشفات وظواهر غيبية لا تعرض في غالب لزهاد [2].

ثالثها : أن المتصوفة درجات ،فكما يوجد فيهم المعتدل في مذهب يوجد أيضا المتطرف أو المتشدد ،والحلاج أحد المتشددين .

كما أن المتصوفة يمتازون بصفات وأخلاق يتفاضلون بها عن غيرهم ولقد عددها لنا "ابن سينا" بقوله «إن للعارفين مقامات ودرجات يخصون بها في حياتهم الدنيا دون غيرهم ،فكأنهم في جلابيب من أبدانهم قد تجردوا عنها إلى عالم القدس ،ولهم أمور خفية فيهم ، وأمور ظاهرة عنهم يستذكرها من يذكرها ، ويستكبرها من يعرفها ،ونحن نقصها عليك (...)،العارف بشوش باسم ،يبجل الصغير من تواضعه مثل ما يبجل الكبير ،وينبسط من الخامل مثل ما ينبسط من النبيه وكيف لا يستوي والجميع عنده سواسية ؟ (...)

العارف لا يعنيه التجسس والتحسس ،ولا يستهويه الغضب عند مشاهدة المنكر ،كما تعتريه الرحمة ،فإنه مستبصر بسر الله في القدر ،وإذا أمر بالمعروف أمر برفق الناصح ،وإذا جسم المعروف فربما غار عليه من غير أهله ،العارف شجاع ،وكيف لا وهو بمعزل عن تقية الموت ؟ »[1].

فاستحواذهم على جميع هذه الصفات ، يصلون إلى مرحلة متقدمة من لاستغراق الروحي متمثلة في الكشف ،الذي قال عنها زكي نجيب محمود : " تبدأ النظرة الصوفية عندما يحس المتصوف بأن أمرا كان ملغزا قد انزاح عنه الحجاب ، فيراها هو رؤية مباشرة لا سبيل فيها إلى شك ،حتى وإن خفيت عن سائر العالمين أنها رؤيته " اليقين " وهي رؤية بالبصيرة لا بالبصر[2] .

إلا أن هنالك من يستذكر هذه المرحلة ويعتبر أن الكشف ليس من الشرع وبن خلدون من هؤلاء إن يقول « وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة ،لم يكن هناك لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الإدراك إنما كان همهم لإتباع ولإقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه و لم يحفل به »[3].

وهناك أيضا من يضع شرطا لصحة هذه المكاشفات ،وهي إتباع الرسل وإلا كانت مكاشفاتهم ضربا من إتباع الشياطين ،فلا يعترفون به بل يعتبرونه من أولياء الشياطين حتى ولو طار في الهواء أو مشى على الماء .

2- ديوان الحلاج ،لدكتور سعدي صناوي ،دار صادر بيروت ، ط2، 2008 ، ص: 116-117 .

3- محمود، زكي نجيب: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ،ط3، دار الشرق ،بيروت ، 1981، ص: 2377 - نقلا عن / إبراهيم، مدكور: في الفلسفة الإسلامية ،ج1 ،دار المعارف ، ط3 ،القاهرة ، 1983 ،ص: 59.

(3- عبد الرحمن، بن خلدون: المقدمة ،دار حياء الثرات العربي ،دون طبعة ولا تاريخ ،لكتاب الأول ،الباب السادس ، الفصل الحادي عشر ، ص: 474 – بتصرف-

وعليه يتضح لنا مما سبق ذكره الفرق الموجود بين الزهد والتصوف فكما يقول القشري (475هـ) : «الزهد وعدم التعلق بالدنيا والسعي لتزكية النفس ،ومع عدم المبالغة بمطالب البدن ،كان سلوك شبه عام عند الصحابة ،ولكن مع توسع الفتوحات مال بعض المسلمون إلى الدنيا ، فأخذت سائر الأمة بتسمية خاصة هي : الصوفية »[1].

فالفرق هنا ليس فرق تسمية فقط ، إنما هو فرق في المعتقد الديني ولمسار الروحي للمتعبد.

خلاصة القول :

– لقد برزت نزعة الزهدية في المغرب مند عصور الأول ، فبيئة المغرب العربي بيئة دينية ،تؤمن بالغيبيات كثيرا ،وقد تمثلت روح الشاعر المغربي الزاهد في رفض الحياة والابتعاد عن زخارفها [1].

– وقولنا بأن بكر تأثر بهذه البيئة قبل رحلة إلى المشرق وأنها كانت منطلق ودافع له في مساره الدنيوي ،قول يحتما جانب كبيرا من صحة ،،فحين لو قلنا أيضا بأنه استمد روح الزهد باحتكاكه بفقهاء قيروان وكبار أئمته، قول صحيح أيضا وكذلك لو حكمنا بأن جودة أشعاره التي قيلت في زهد لم تكن هكذا جزافا ، إنما جاءت وليدة اقترانه بكبار زهاد المشارقة وأخذ من منبع أصيل ،هو حكم صحيح أيضا .

وعليه فإننا سنجد أنفسنا أمام متناقضات التي هي مرفوضة في قواعد المنطق ،وسبب وقوعنا في هذا تناقض راجع إلى إجحاف الذي أرتكب في حق بكر بن حماد الذي جهل عنه أكثر مما علم .

ومنه فقولنا كيف ومتى ؟ لا يفي بالغرض ،فهو تحصيل حاصل لما وقع بين أيدينا من سيرته الأدبية .

1 – ياسين، بن عبيد: الشعر الصوفي الجزائري المعاصر ،المفاهيم والإنجازات –2007، ص: 45.

المبحث الثالث؛ الرثاء في شعر بكر بن حماد:

أ) **لغـــة** :وقال ابن منظور :<<رثى فلان فلان يرثيه رثيا ومرثيه إذا بكاه بعد موته ، قال : فإن مدحه بعد موته قيل رثاه ورثيه : مدحته بعد الموت وبكيته ورثيت الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه ، وكذلك إذا نظمت فيه شعرا >>[1]

ب) اصطلاحا : الرثاء غرض من أغراض الشعر الغنائي ، وهو تأسف على الميت وذكر مناقبه ، لذلك نجد الشعراء العرب يرثون بالخصال التي كانوا يفتخرون بها ويمدحون وتجد في شعر الرثاء ثلاثة أنواع هي:

أ/ **الندب**: وهو بكاء ، وتفجع ، ونواح وعويل على الميت بألفاظ حزينة مؤلمة كثيرة الحزن، وقد قطع ندب في جاهلية شوطا بعيدا من التقدم حتى أصبح فنا وصناعة وحرفة .

ب/ التأبين: ويتخذ شكل شتاء على الميت ، وذكر مزاياه وهو أشبه بالمدح

ج/ الغراء: وهو دعوة إلى التفكر في رحلة الحياة ومصير الإنسان، وقصد منه تخفيف الأحزان وتهوين المصيبة والصبر والرضا بما أنزل الله [2].

وهذه الأنواع يندر أن تأتي مستقلة وغالبا ما ترد مجتمعة في المرثاة الواحدة ، كما هو الحال في ميمية الحكم بن ثابت السعدي ،في رثائه (أغلب بن سالم التميمي)[3].

فقد بدأها بما يشبه الندب ، ثم انتقل إلى التأبين وختمها بالغراء ،وقد قسمها بترتيب فجاءت كتالي :

1- الندب : لقد أفسد الموت الحياة = غداة غدا للموت في الكرب معلها

2- **وفي التأبين**: يقول :

3- ثم ختمها بالغراء وقال فيها :

فبات شهيدا نال أكرم = ولم يبلغ عمر أن يطول ويستقيما

ومنه فهذه أنواع الثلاثة لابد من وجودها في كل قصيدة مرثية حتى نستطيع تفريق بين المدح والرثاء

حيث أن بعض النقاد القدامى يرون أنه لا فرق بين الرثاء والمدح ،إلا إذا اختلط الرثاء بشيء يدل على أن المقصود به هو ميت مثل (تولى، كان، عدمن به كيت..) ومشاكل هذه الاستعلامات ذاته على الماضي ليعلم أن الممدوح ميت ،وفي هذا أدرج ابن رشيق المدح مع الرثاء في تقسيمه لشعر إذا يقول : " الشعر كله نوعان : مدح وهجاء ،فإلى

1- ابن منظور: لسان العرب ، بيروت –لبنان – ط1 ، ج14 ، 2006 ، ص: 132 .

2- د . سعد، بوفلاقة: دراسات في الأدب المغرب العربي ، منشورات بونه سبحوث والدراسات ، - بونه – الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص: 105-106-107 .

3- ينظر: عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربي ،ج1 ، ص: 83. ودكتور يحي جبور ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، ص: 311 .وما بعدها

المدح يرجع الرثاء افتخار،التشييب وما تعلق بذلك من محمود الوصف ، كصفات الطول وأثاره وتشبيهات الحسان كذلك تحسين أخلاق كأمثال والحكم والمواعظ والزهد في الدنيا والقناعة .....والهجاء ضد ذلك كله " [1].

وتعتبر الشاعرة المخضرمة – الخنساء [2]أشهر من نار على علم لها هذا الغرض وهي ممن أدركهم الإسلام ،وكثيرا ما ينتسب لها هذا الغرض لإيجادها في رثاء أخويها : صخر ومعاوية حتى قيل لجرير يوما عن أشعر الناس ،فقال : "أنا لولا هذه الخبيثة " ويعني الخنساء [3].

1– سلطاني، أبو جرة : الموت والرثاء في الشعر الجاهلي – رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي القديم –قسنطينة – 1986،1987، ص: 133.

2– هيتمافربنت عمر بن الحرث بن الشريد والخنساء لقب غلب عليها لقبة به تشبيها لها ببقرة وحشية في جمال عليها – خطبها دريد بن صمه فردته لكبر سنه

3– ينظر : ديوان الخنساء: دار صادر بيروت ،ص: 65.

الفصل التطبيقي

الدراسة الفنية

المبحث الأول: الأغراض الشعرية

المبحث الثاني: الصور الشعرية

المبحث الثالث: المدونة الشعرية

1/ المبحث الأول؛ الأغراض الشعرية لبكر بن حماد: تناول بكر بن حماد كل الأغراض التي عرفت في عصره؛ **مثل:**

1-1 الوصف:

كثيرا ما يرتبط الوصف بشيء مادي محسوس وهو خاصية جمالية لامناص من كينونتها في أي أدب رفيع ولقد جاء وصف بكر بن حماد، وصف للحال دون قصد صريح للذم أو المدح، إذ كانت الغاية من هذا الوصف هي الأخبار عن برودة الطقس في "تاهرت"، إذ يقول في بعض أبياته([1]):

مـــــــــا أخشـــــــــن الـــــــــبرد وريعانـــــــــه

وأطـــــــــرف الشـــــــــمس بتـــــــــا هـــــــــرت

تبـــــــــدو مـــــــــن الغـــــــــيم إذا مـــــــــا بـــــــــدت

كأنهـــــــــا تنشـــــــــر مـــــــــن تخـــــــــت

فـــــــــنحن في بحـــــــــر بـــــــــلا لجـــــــــة

تجـــــــــري بـــــــــن الـــــــــريح علـــــــــى الســـــــــمت

نفـــــــــرح بالشـــــــــمس إذا مـــــــــا بـــــــــدت

كفرحـــــــــة الـــــــــذمي بالســـــــــبت

ويذكر البكري، أن رجلا من أهل تيهرت نظر إلى توقد الشمس بالحجاز فقال: « **أحرقي ما شئت فوا لله إنك** بتاهرت لذليلة»[(2)]

1-2 المدح:

والذي ضم فيه بن حماد ثلاث مقطوعات شعرية، أو لنقل ما وصل إلى أيدينا، وغالب الظن أن هذه المقطوعات شملت مدح الأمراء والخلفاء، ومن ذلك مقطوعة يمدح فيها بكر "أحمد بن القاسم بن إدريس" حاكم مدينة كرت[(3)]، والتي قال فيها[4]:

إن السماحة والمروءة والندى جمعوا لأحمد من بن القاســـم

---

[1]– ابن العباس، أحمد بن سعيد الدرجيني (من علماء القرن السابع للهجرة): الجواهر، مخطوط، وهران، الجزائر، ص: 247.

[2]– ينظر: إبراهيم بكير، بحاز: الدولة الرستمية، مطبعة لافوميك، الجزائر، ط1،1985 ، ص: 144.

[3] -مدينة مغربية، كانت تقع قريب من العلائش وأصيلا، ويبدو أنها لم تلعب دورا تاريخيا ثانويا، ولعل من لأجل ذلك انقرضت على الرغم من أنها كانت تلقب ببصرة المغرب.– ينظر: ياقوت، الحمودي: معجم البلدان، ج7، ص: 230.

[4] -

وإذا تفاخرت القبائل وانتمت فافخر بفضل محمد وبفاطـــم

وبجعفر الطيار في درج العـــلا وعلي العضب الحسام الصارم

إني لمشتاق إليك وإنمـــــــا علي أكون عليك أول قـــادم

واعلم بأنك لن تنال محبـــــة إلا ببعض ملابس ودراهـــم

والواضح أن بكر لم يقصر مدحه على خليفته المعتصم بالله العباسي، الذي مدحه خلق كثير، إنما جاوزه لمدح أمراء وخلفاء المغرب.

1-3 الاعتذار:

برع بكر بن حماد في هذا الغرض كما برع في سابقيه، ولعل من أجمل وأبرع ما وصلنا، من ذلك قوله[1]:

ومؤنسة لي بالعراق تركتـــــها

وغض شبابي في الغصون نضير

فقالت، كما قال النؤاسي قبلها

عسير علينا أن نراك تســـــير

وقد استعطف فيها الإمام أبا حاتم يوسف يعتذر إليه وقد قبل الإمام اعتذاره وعفي عنه.

1-4 الغزل:

لم نظفر لابن حماد ولو ببيت واحد في هذا الغرض، مع أنه طرق جل المواضيع التي طرقها الشعراء المعاصرون له، فلا ندري أسبب ذلك ضياع شعره، أم أنه كان راوية للحديث فكان من الوقار والوفاء لهذه الصفة أن لا يقول شعرا في الغزل فيسيء إلى سمعته، أم أنه كان متعففا راغبا عن ذلك زاهدا فيه منذ صغره شأن الزهاد المنقطعين عن الذنب، وهو في هذا يختلف عن "أبي العتاهية" الذي كان كثيرا ما يقارن به، لكن أبا العتاهية شبب "بعتبة" جارية الخليفة المهدي،[2] فحسب عليه بقوله في زهد في الدنيا، فكان بن حماد بذلك مؤهلا لهذه الصفة أكثر من أبي العتاهية.

---

[1] -

[2] – محمد المهدي هو ثالث خلفاء بني العباس تولى الخلافة من عام 108هـ- 179هـ، وعتبة هي جارية من جواري الخليفة المذكور، عشقها أبو العتاهية وأكثر فيها الغزل حتى هم الخليفة أن يهبها له لولا ضراعتها وكراهيتها له فألهاه عن ذكرها بالمال الكثير.- ينظر: محمد، شاوش: الذر الوقاد من شعر بكر بن حماد، 2007، ص: 54.

1-5 الهجاء:

من أشهر قصائد بكر في الهجاء القصيدة التي هجا بها "عمران بن حطان" الذي مدح في قصيدة له قاتل الإمام علي كرم الله وجهه وهو "عبد الرحمان بن ملجم"، فقال في بيت[1]:

أمســـــــــــــى عشـــــــــــية عشـــــــــــاه بضـــــــــــربته

ممـــــــــا جنـــــــــاه مـــــــــن الآثـــــــــام عريانـــــــــا

فرد عليه بكر في قصيدته المشهورة، والتي تعتبر من أطول القصائد التي وصلتنا، وقال فيها:

قـــــــــل لابـــــــــن ملجـــــــــم والأقـــــــــدار غالبـــــــــة

هـــــــــدمت ويلـــــــــك للإســـــــــلام أركانـــــــــا

قتلـــــــــت أفضـــــــــل مـــــــــن يمشـــــــــي علـــــــــى قـــــــــدم

وأول النـــــــــاس إســـــــــلاما وإيمـــــــــانا

3- المستوى اللغوي: لغرضي الزهد والرثاء

أ- مستوى الشكل:

تختلف اللغة الشعرية عن اللغة العادية – الكلام اليومي- فاللغة الشعرية لغة مهذبة مصقولة، إذ أن اللغة تتخذ وفي شكلها العام نوعين مختلفين: أولها لغة فطرية طبيعية، وثانيها وضعية اصطلاحية وتضم ما يلي:

اللغة الفطرية	اللغة الطبيعية	لغة وضعية أو اصطلاحية
هي لغة العواطف والانفعالات والأحاسيس في شكلها الفج قبل أن تخترع لها الحضارة ما شاءت من المصطلحات والتعابير، وقبل أن يصطنع لها المجتمع قوالب الألفاظ وصيغ الجمل.	و تضم جميع أنواع التعبير غير الكلامي. مثل: الصراخ، والضحك، والبكاء، واحمرار الوجه، وغير ذلك من المظاهر اللاإرادية التي ندركها بالحواس.	هي لغة التفكير والعمليات العقلية المعقدة ولغة الحضارة والتقدم، وبها يتعامل الناس في حياتهم ويتفاهمون لقضاء شؤونهم.

ومنه فاللغة الاصطلاحية يمكن أن نعبر بها عن كل شيء، سواء منه الضروري أو الكمالي، وسواء كان ماديا أو روحيا، ملموسا أو مجردا[2]. وعليه فاللغة التي أخضعناها للدراسة هي لغة اصطلاحية شعرية وهو أمر طبيعي، كون

[1]- المدونة الشعرية:

[2]- حنفي، بن عيسى: محاضرات في علم النفس اللغوي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 80.

البيئة العباسية بيئة شعرية محضة. لكن هل البيئة الرستمية بيئة شعر فصيحة؟ أم أنها مزيج بين العربية والبربرية؟ علما أن البربرية يشكلون السواد الأعظم في دول المغرب، خاصة البربر المتمركزين بجبل نفوسة، الذين لم يتقنوا اللغة العربية. ولعل هذا راجع إلى طبيعة الجبل البعيد المنعزل عن التأثيرات الخارجية، وربما لهذا السبب وصفه اليعقوبي في نهاية القرن الثالث الهجري وقال بأن أهله " **عجم الألسن**"[1].

ولا يستبعد أن يكون البربر يقرؤون العربية لكنهم لا يتقنون فهمها في هذه المرحلة، وهي المرحلة التي عاش فيها شاعرنا، لكن بكر لم يتأثر بهذا الخليط بين البربر والعرب بل جاءت أشعاره صافية فصيحة خالية من كل عيب ولعل من أبرز أسباب صفاء لغته الشعرية أنه لم يمكث طويلا ب' تيهرت '، وثانيا أخده من المنبع الأصيل للغة العربية وهو القران الكريم، والحديث، والشعر القديم. حتى أن سلامة لغته تضاهي في رونقها لغة الشعر الجاهلي.

فننظر مثلا: قصيدته " وقفة بالقبور " والتي مطلعها [2]:

قِـــفْ بـــالقُبُورِ فَنَـــادِ الهَـــادِمِينَ بِهـــــَا مِـــنْ أَعْظَـــمِ بَيْـــت فِيهَـــا وأَجْسَـــادُ

معلقة امرئ القيس والتي مطلعها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيب ومَنْزِلِ = بِسقْطِ اللوى بَيْنَ الدخُولِ فَحَوْمَلِ

على الرغم من أنها مقدمة طللية، وهو حال كل شعر جاهلي ومحتواها غزلي ماجن، إلا أنها تعتبر من عيون الشعر العربي، أما ألفاضها فمستقات من وحي البيئة الجاهلية ومعظمها انمحى وانقرض لصعوبة فهمه على الإنسان المعاصر، وان لم نقل أنها خاصة بحقبة زمنية معينة، في حين أن قصيدة بكر بن حماد صالحة لكل زمان ومكان، ودليل ذلك اقتباسه من القرآن الكريم، الذي هو معجز في ألفاظه.

معلـــقة "امرئ القيس"	قصيدة "وقفة بالقبور"
الدخول: مكانات المرقاة، شمأل، ناقف، حنظل، مغول، جلجل، أزمعت، الآرام، عرفاتها، ذيل مرط مرجل، عقنقل، السجنجل، مهفهفة.	الوصال، التقي، الميقات، ميعاد، عفتها، المرصاد، أين البقاء، نعش، أكباد، الموت يهدم، بذخ، دنياه، الحادي.

ومنه ومن خلال هذه الألفاظ يتضح لنا بأن بكر بن حماد لم يتأثر بالمحيط البربري الذي نشأ فيه وعاد إليه بعد رحلته الطويلة، إذ انه لم يقم بتوظيف ألفاظ بربرية، بل استعمل ألفاظ خفيفة على السمع ذات جرس رنان، يعرفها الخاص

[1]– إبراهيم بكير، بحان: الدولة الرستمية – دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكريةط1، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985، ص: 343.

[2]– المدونة، غرض الزهد،

والعام الإنسان القديم والحديث، في حين جاءت ألفاظ امرئ القيس خشنة قوية تعكس في مجملها شخصية الإنسان البدوي وتصور واقع حياته اليومية.

وهذا الفارق في اللغة وعدم نظمه شعرا بربريا، يعتبر علامة امتياز تحسب له، في الوقت الذي كانت فيه البربرية في عهد الرستميين كالعامية اليوم مع الفصحى[1] والشأن نفسه في غرض الرثاء، خصوصا رثائه لابنه عبد الرحمان، فلغته سليمة خالية من كل لحن، بالاظافة إلى جودتها في سبك ألفاظها مع المعاني، فجاء الشكل مضاهيا للمضمون.

ب– الحقل الدلالي:

في هذا الحقل سوف نضمن ألفاظ لقصيدة رثائية لبكر هي مرثيته لابنه عبد الرحمن[2] واخترنا مجموعة من الألفاظ وزعناها كالآتي:

م1	م2	م3
– بكيت	– فقدك	– فلا تفرح
– هلكت	– حزنا	– ولا تأسف
– بقاؤك	– ميت	– قطع البقاء
	– بقيت حيا	– الفراقد والثريا

ونلاحظ من خلال هذا التقسيم أن الحقل الدلالي للمربع الأول ضم عددا من الألفاظ، أولها كلمة "بكيت" وهي تدل دلالة واضحة على أن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر هي حالة توجع وألم ورجاؤه في هلاكه هو وبقاء ابنه.

لكنه يتدارك الواقع في المربع الثاني ويستسلم للقضاء، ويرضى يقدره،كما تحتم عليه قناعته الاقتناع بما كتب له هذه القناعة أفرغها في المربع الثالث، والذي ضمنه مجموعة من الحكم أبرزها أن الفناء سيعم البشرية جمعاء عاجلا أم آجلا، وهذا ترتيب في حالته النفسية بين عدم القبول ورفض للواقع وبين استسلام ورضا، وهذا حال جميع المراثي المشهورة، وعليه نجد أن ابن حماد قد سار على خطى من سبقه من فحول الشعراء.

[1]– فأشعار البربر الجيدة هي نظير ما يسمع اليوم من قصائد عامية بليغة، والتأليف البربرية كلها تقريبا تحول حول المسائل الدينية، إنما وضعها واضعوها حرصا على إيصال عقائد الإسلام وعبادته إلى العامة، إذ لم يكن جميع البربر يحسنون اللغة العربية في ذلك الزمان المبكر.

– ينظر: الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 2، ص: 68.

2– المدونة، ص:

المبحث الثاني؛ الصورة الشعرية:

تختلف الصورة الشعرية باختلاف الزمان والمكان، مثلا " الصورة الشعرية في الشعر الجاهلي صورة واقعية مستمدة من حياتهم اليومية، ومعبرة عن حاجات في نفوسهم أكبر من مدركاتهم وأرقى من تصوراتهم ولا سبيل لإدراكها إلا بالاعتماد على الحواس الخمس، ومعها الخيال، ابتكار صور من واقعهم يقربون بها تلك المثل إلى أدهان العامة"[1]

فالإنسان الجاهلي لا يؤمن بالغيبيات، ويرفض كل ما لا تراه عيناه، يعتبر كل حديث لا تدركه حواسه كحديث "خرافة" حتى أنهم لا يعترفون بالظواهر الخارقة، فحين بلغ الخيال عند الإغريق مبلغا عظينا تجلى في قالب أسطوري كصراعات الآلهة مع البشر وأنصاف الآلهة، وفي هذا المقام سيتبادر إلى الذهن هن الكيفية التي صاغ بها بكر صوره الشعرية، هل جاءت واقعية في ظاهرها شأنها في هذا شأن الصور الجاهلية أم أنها جنحت لبعض الخيال الساذج**؟.**

أ– الصورة الشعرية في غرض الزهد: قصيدة "ذكر الموت".

الخيال عند الشاعر هو مصدر إلهامه، وهو أصل في الصور الشعرية. فإذا لم يحلق الشاعر بخياله فانه لن ينظم الشعر[2].

ولقد تفطن أسلافنا منذ القديم إلى موضوع التصوير في الشعر، فقال الجاحظ في ذلك:" شعر صياغة وضرب من النسيج وهو جنس من التصوير"[3]

فالأروع أشعارا تلك التي تضمن المثل السائر، لاستعارة رائعة وتشبيه للواقع، وكل أنواع تصوير المرء. وهذا ما نلاحظه في قصيدة بكر في " ذكر الموت"، إذ من خلال أبياته يصور لنا حال نفسه لما يحين أجلها تصويرا مرئيا، كأنه مصور يحمل ألته الخاصة. فالتقط الاستعارات كما التقط التشبيه والأضداد في نحو الطباق، وذلك في قوله:

ليل# نهار. سحاب منايا، أيدي منايا استعارة.

جنح ليل يقودها ، وضوء نهار لازال يسوقها مقابلة.

ب– الصورة الشعرية في غرض الرثاء: " رثاء تاهرت بعد تخريبها" .

لقد ذكرنا فيما سبق أن الصورة الشعرية ضرورية في كل بناء للقصيدة، وقد **مرزوقي** في مقدمته لشرح حماسه " لأبي تمام" عمود الشعر في سبعة مبادئ: " للفظ والاستقامة، لإصابة في الوصف والمقاربة في التشبيه... ومناسبة المستعار منه للمستعار له"[4] وهذا ما نجده في قصيدة بكر لرثاء تاهرت حين أصاب في وصفها بعد دمارها وخراب منازلها، مستعيرا من الصور التقليدية القديمة. وما تعاقب عليه الشعراء في رثاء المدن والمماليك زائلة، حين استعمل كنايات واستعارات وطباق وغيرها من الصور البيانية، وقد جاءت على النحو الآتي:

1– سلطاني، أبو جرة: الموت والرثاء في الشعر الجاهلي – رسالته مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي القديم–، 1986– 1987، ص: 388.

2– فالشاعر عند أفلاطون كائن أثري مقدس ذو جناحين، لا يمكن أن يبتكر قبل أن يلهم، فيفقد صوابه وعقله، ومادام الإنسان يحتفظ بعقله فإنه لا يستطيع أن ينظم الشعر. –ينظر: أفلاطون، محاورة(أيون)، أورد النص: حسن، أحمد عيسى، الإبداع في الفن والعلم، مطابع الوطن، الكويت، 1979، ص: 21.

3– الجاحظ: الحيوان، ج3، ص: 132.

4– أحمد، عقون: رثاء المدن ومماليك زائلة في الشعر العربي القديم، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم، تحت إشراف، د. جودة الركابي، قسنطينة، الجزائر، 1987، ص: 326.

- زرنا منازل قوم لم يزورونا كناية.
- الرحيل، مقيمونا طباق.
- الموت أجحف بالدنيا فخربها استعارة.

وأروع تصوير ذلك الذي أرتبط بالتراث الإسلامي، نحو قوله: حاملون العرش لله باكون، كتر قارونا، ومعظم الصور التي استعملها هي الصور واقعية تخضع للمنطق والعقل وترفض الخيال الساذج.

الموسيقى الشعرية:

كان العرب في الجاهلية يقولون الشعر على السليقة، ولا يعرفون البحور والأوزان، حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهدي في العصر العباسي، استنبط بحاسته الموسيقية خمسة عشر بحرا وقد زاد عليه تلميذه الأخفش بحرا جديدا سماه " المتدارك" ، وهذا لا يعني أن العرب كانوا يجهلون العروض، فقد روي أنه قيل للخليل بن أحمد: هل للعروض أصل؟ فقال: نعم، مررت بالمدينة حاجا، فرأيت شيخا يعلم غلاما:

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا

قلت: ما هذا الذي تقوله للصبي؟

قال: هو علم يتوارثونه عن سلفهم يسمونه التنعيم، لقولهم فيه " نعم".

قال الخليل: فرجعت بعد الحج فأدكمتها، أما ما يتعلق بالقافية، فقد ذكروا أن شيخ نحاة البصرة ولغوييها أبا عمرو بن العلاء (ت، 175هـ)، كان قد تكلم عليها في مجالسه، وذكروا لهم أقوالا فيها[1]

- الموسيقى في الرثاء:

الشاعر الموسيقي آلاته قلبه، أوتاره لسانه، أنغامه حروفه، وإذا كانت مقومات القصيدة هي الفكر واللغة والخيال، فان العاطفة هي مصدر الإلهام في الشعر الغنائي بصفة عامة وفي المراثي بصفة خاصة.

فالرثاء إذن تجربة عاطفية، بمعنى أن العاطفة هي التي تملي على العقل ثقل ما تعانيه اتجاه رحيل الميت أو القتيل، من أوجاع وأرق وتمزق وحسرة.[2] وشائع القول أن المراثي تتميز بالأوزان الخفيفة والقوافي المقيدة، وهذا لحظة حدوث الفاجعة، أما إذا تباعد الزمان بالفاجعة تحولت المراثي إلى الأوزان الطويلة والقوافي المنبسطة.

لكن هل ينطبق هذا القول على مراثي بكر بن حماد؟. أم أن الأوزان والقوافي وحروف الروي مختلفة عنده؟، وهل سار في قصائده المرثية على النهج الموسيقي القديم؟.

وما سنتناوله بالدراسة هو قصيدتين في رثاء عبد الرحمان بن بكر، والثالثة في رثاء تيهرت بعد تخريبها[3]

1- سميح، أبو مغلي: العروض والقوافي، ط1، دار البداية، عمان، 2009، ص: 09.

2- سلطاني، أبو جرة: الموت والرثاء في الشعر الجاهلي، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الأدب العربي القديم، 1987، ص: 403.

3- ينظر: المدونة، غرض الرثاء، ص: .

فالقافية في القصيدتين الأوليين تكونان على هذا النحو:

1/ عليا ← علينا ← | ○|○| **مطلقة.**

2/ قليل ← قليلو← | ○|○| **مطلقة.**

أما في القصيدة التالية فتكون على النحو هذا النحو:

3/ يقاسونا ← يقاسونا ← | | ○ ○|○| **مطلقة.**

والواضح أن القافية موحدة في جميع قصائده الرثائية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الحالة الشعورية والنفسية التي يعيشهما الشاعر موحدة، أي أن الألم والحزن عنده متساوي في جميع قصائده، أما حروف الروي والتي هي : الياء، الام، النون، على الترتيب فان لها صفات تدل عليها مثال ذلك:

– الياء، البحر الوافر.

– اللام، حرف تعليل أي ربط الأسباب بالمسببات **البحر الطويل.**

– النون، البحر البسيط.

الواضح أن حروف الروي تناسب البحور الممزوجة، ومنه يتضح لنا أن الرثاء لم يقع لحظة الفاجعة فالقافية مطلقة والبحور طوية. لكننا سنقع في تناقض إذا ما حللنا مضمون القصيدة وذلك من خلال قوله[1]:

و هـــــون وجـــــدي أنـــــني بـــــك لاحـــــق وأن بقـــــــــائي في الحيـــــــــاة قليـــــــــل

و أيضا[2]:

و لم أكُ آيســـــا فيئســـــت لمـــــــــــا رميـــــت التـــــراب فوقـــــك مـــــن يـــــديا

والتاريخ يثبت لنا أن بكر لم يعمر طويلا بعد وفاة ابنه، والأحق أنه توفي بعد بضع أشهر من وفاة ابنه.

وهذا التناقض في النغم الموسيقي سوف يوقعنا في نوعين من الموسيقى وهما:

أ– موسيقى خارجية (جاهزة):

نقصد بها الأوزان، والبحر الذي يضعه الشاعر في حسابه، فبعد البحر الأول يتحقق وزن القصيدة وبحرها.

ب– موسيقى داخلية (طارئة):

تتعلق بالإيقاع اللغوي مع تناغم الحروف، كحرف الروي مثلا. لأن الشاعر حين يكتب يكون منفعلا بموضوع القصيدة، يكون متأثر بجو القصيدة على موسيقاها من غيرها، كحرف العين...

[1]– العربي، دحو: الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية، ص: 187.

[2]– نفسه، ص: 187.

هذان النوعان من الموسيقى هما سبب وقوعنا في تناقض لكنه تناقض محبب في الشعر، فكل ما هو غير مألوف وعنيف في الشعر فهو حسن.

-الموسيقى في الزهد:

للزهد نغمه الخاص به، ولقد اعتبرت شطحات زهدية نغمة أساسية، والموسيقى الزهدية تتسم بسمة الحزن المؤقت أي حزن ونفور من الدنيا طمعا في الآخرة، وهو بمعنى آخر ألم تعقبه لذة، سواء كانت عن قصد أو بدونه، وقد مرت موسيقى الزهد بعدة مراحل، ففي القديم كانت مثلا لتهذيب النفس وملء القلوب الفارغة والعقول المتحجرة، فتعقد حلقات شعرية للتذكير بالوعد والوعيد، من خلال وقع موسيقي خاص وذلك باستعمال بحور طويلة، وحروف روي أكثر ما يقال عنها أنها تنتقل من السلف إلى الخلف وأشهرها حرفي " الذال، والراء"، كذلك التنويع في القافية. أما بمرور الزمن وتعاقبه أصبحت الموسيقى الزهدية تميل إلى خفة وتسارع ذلك من خلال أوزان خفيفة.

أما بالنسبة لبكر بن حماد فلقد جنح إلى موسيقى تقليدية وأوزان وروي وقافية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تمسكه بالتراث أو الأصول.

المبحث الثالث؛ المدونة الشعرية:

رأينا من الواجب علينا أن نلملم زهديات بكر بن حماد ورثائياته، فإن أكثر شعره في هذين الغرضين. وهذا بيان كل ذلك:

أ- الرثاء:

- **رثاء ابنه عبد الرحمان الوافر[1].**

بكيـــــــــت علـــــــــى الأحبـــــــــة إذ تولـــــــــوا
ولـــــــــو أني هلكـــــــــت بكـــــــــوا علـــــــــيا

فيـــــــا نســـــــلي بقـــــــاؤك كـــــــان ذخـــــــرا
وفقـــــــدك قـــــــد كـــــــوى الأكبـــــــاد كيـــــــا

كفـــــــى حزنـــــــا بـــــــأني منـــــــك خلـــــــو
وأنـــــــك ميـــــــت وبقيـــــــت حيـــــــا

ولم آك آيســـــــــــــــت فيئســـــــــــــــت لمـــــــــــــــا
رميـــــــت التـــــــرب فوقـــــــك مـــــــن يـــــــديا

فليـــــــت الخلـــــــق إذا خلقـــــــوا أطـــــــاعوا
وليتـــــــك لم تكـــــــن يـــــــا بكـــــــر شـــــــيا

تســـــــــر بأشـــــــــهر تمضـــــــــي سراعـــــــــا
وتطـــــــــوي في ليـــــــــاليهن طيـــــــــا

فـــــــلا تفـــــــرح بـــــــدنيا لـــــــيس تبقـــــــى
ولا تأســـــــف عليمـــــــا يـــــــا بنيـــــــا

[1]- العربي، دحو: الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية، دار الكتاب العربي، 2007، ص: 187.

فقـــــــــد قطـــــــــع البقـــــــــاء غـــــــــروب شمـــــــــس
ومطلعمـــــــــــا علينـــــــــــا يـــــــــــا أخيـــــــــــا

ولـــــــــــيس الهـــــــــــم يجلـــــــــــوه نهـــــــــــار
تـــــــــــدور لـــــــــــه الفراقـــــــــــد والثريـــــــــــا

رثاء ابنه عبد الرحمن . الطويل [1].

وهـــون وجـــدي أنـــني بـــك لاحـــق وأن بقائي في الحياة قليـــل
وأن لـــيس يبقـــى للحبيـــب حبيبـــه وليس بباق للخليل خليل
ولـــو أن طـــول الحـــزن ممـــا يـــرده للا زمني حزن عليه طويل

رثاء تاهرت بعد تخريبها [البسيط][2].

زرنـــا منـــازل قـــوم لـــــــــم إنـــــا لفـــي غفلـــة عمـــا يقاســـونا
يزورونا
لـــو ينطقـــون لقـــالوا: الـــزاد ويحكـــم حـــل الرحيـــل فمـــا يرجـــوا المقيمونـــا

الموت اجحف ب الدنيا فخربه وفعلنا فعل قوم لا يموتونـــا
فالآن فابكوا فقد حق البكاء لكم فالحاملون لعرش الله باكـــون
ماذا عسى الدنيا يجمعـــــنا لـــو كـــان جمـــع فيمـــا كـــثر قارونـــا

• رثاء دعبل وابن الخصيب الكامل [3].

المـــوت غـــادر دعبـــل بـــن ويلـــه وبـــأرض برقـــة أحمـــد بـــن خصـــيب

• رثاء الشاعر نفسه [الرجز] [4].

أحبـــو إلى المـــوت كمـــا يحبـــو الجمـــل قـــد جـــاءني مـــا لـــيس لي فيـــه حمـــل

1-المرجع السابق، ص: 187.
2– المرجع نفسه، ص: 187.
3– المرجع نفسه، ص: 187.
4– العربي، دحو: الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية، ص: 188.

ب– الزهد:

ذكر الموت الطويل[1].

لقـــد جمـــت نفســـي فصـــدت وأعرضـــت وقد مرقت نفسي فطال مروقها
فيـــا أســـفي مـــن جـــنح ليـــل يقودهـــا وضوء نهار لا يزال يسوقهـــا
إلى مشـــهد لا بـــد لي مـــن شـــهوده ومن جذع الموت سوف أذوقها
تأكلـــها الديـــدان في بـــاطن الثـــرى ويذهب عنها طبيبها وخلوقهـــا
مـــواطن للقصـــاص فيهـــا مظـــالم تودي إلى أهل الحقوق حقوقهـــا
ســـحاب المنيـــة كـــل يـــوم مطلـــة فقد هطلت حولي ولاح بروقها
و للـــنفس حاجـــات تـــروح وتغتـــدي ولكن أحاديث الزمان يعوقهـــا
تجهمـــت خمـــس بعـــد ســـبعين حجـــة ودام غروب الشمس لي وطلوعها
و أيـــدي المنايـــا كـــل يـــوم وليلـــة إذا فتقت لاستطاع وتوقهـــا
يصـــبح أقوامـــا علـــى حـــين غفلـــة ويأتيـــك في حـــين البيـــات طروقهـــا

تفضيل بعض الناس على بعض الطويل[2]

تبـــارك مـــن ســـاس الأمـــور بعلمـــه وذل لـــه أهـــل الســـموات والأرض
و مـــن قســـم الأرزاق بـــين عبـــاده وفضل بعـــض النـــاس فيهـــا علـــى بعـــض
فمـــن ضـــن أن الحـــرص فيهـــا يزيـــده فقولـــوا لـــه يـــزداد في الطـــول والعـــرض

وقفة بالقبور البسيط[3]

قـــف بـــالقبور فنـــاد الهـــادمين بـــها من أعظم بيت فيها وأجســـاد
قـــوم تقطعـــت الأســـباب بينهـــم من الوصال وصاروا تحت أطـــواد
راحـــوا جميعـــا علـــى الأقـــدام وابتكـــروا فلن يرحلوا ولن يغدو لهم غـــادي
و الله لـــو ردوا لـــو نطقـــوا إذا قالوا التقى من أفضل الـــزاد

1– المرجع نفسه، ص: 188.

2– المرجع السابق، ص: 189.

3– المرجع نفسه، ص: 189.

فـــبرز القـــوم وامتـــدت عســـاكرهم كما يوافوا الميقات وميعـــــــاد
مـــا بـــالقلوي حيـــاة بعـــد غفلتهـــا والله سبحانه منها بمرصـــــــاد
أيـــن البقـــاء وهـــذا المـــوت يطلبنـــا هيهات هيهات يا بكر بن حمـــــاد
بـــين نـــرى المـــرء في لهـــو وفي لعـــب حتى نراه على نعش وأعـــــواد
هـــــذا دنيـــــاه منغصـــــــــة فيها حرازات أحشاء وأكبـــــاد
و كلنـــا واقـــف منـــها علـــى ســـفر وكلنا طاعن يحدو به الحـــــادي
في كـــل يـــوم نـــرى نعـــش نشـــيعه فرائح فارق، لأحباب أوغـــــا
المـــوت يهـــدم مـــا بنيتـــه مـــن بـــذخ فما انتظارك يا بكر بن حمـــــاد

الخاتمة:

وما نستكشفه من خلال دراستنا للأدب الجزائري القديم، خصوصا في فترة القرن الثالث للهجري. أن هذا الأدب ضعيف وشحيح من حيث المصدر والسبب في ضياع هذا الأدب هو عزوف الرواد عن حفظه والتسارع لحفظ الأدب المشرقي.

-أما بالنسبة ل" بكر بن حماد" فهو لم يستثن من هذا الضياع في شعره، فجاءت قصائده مجزأة مبتورة، فعلى الرغم من هذا فإن ما تبقى من شعره يستحق الدراسة. خصوصا أشعاره الزهدية الرثائية وحتى لا نستثني الهجائية التي جلبت له الداء والعداء.

وعليه فإن "بكر" استحق وبكل فخر ريادة الشعر الجزائري القديم، وهذا لامتيازات استحقها كروايته للحديث، واتصاله بعلماء وأدباء ونحويّ المشرق.

وغرضي الزهد والرثاء ما هما إلا شاهد عليه.

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

- إبراهيم مذكور، في الفلسفة الإسلامية ،الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار المعارف ،القاهرة، مصر، 1983.
- أبو جرة سلطاني ،الموت والرثاء في الشعر الجاهلي – رسالة ماجستير ،قسنطينة ، الجزائر،1986-1987.
- أحمد، عقون: رثاء المدن ومماليك زائلة في الشعر العربي القديم، رسالة ماجستير، تحت إشراف د. جودة الركابي، قسنطينة، الجزائر، 1987.
- امرؤ القيس، الديوان.
- بحاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية ، الطبعة الأولى، مطبعة لافوميك، الجزائر 1985.
- بدر أحمد ضيف، شعر سابق بن عبد الله البربري.
- البكري ، كتاب المسالك والممالك .
- الجاحظ، الحيوان،الجزء الثالث.
- جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،الجزء الأول ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت، لبنان، 1982.
- حسن أحمد عيسى، الإبداع في الفن والعلم، مطابع الوطن، الكويت، 1979.
- الحلاج، ديوان، للدكتور سعدي صناوي، الطبعة الثانية، دار صادر بيروت ، لبنان، 2008 .
- حميدي خميسي، نشأة التصوف الفلسفي في المغرب الإسلامي الوسيط.
- حنفي، بن عيسى: محاضرات في علم النفس اللغوي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان. دط، دتط.
- ابن خلكان، وفيات الأعيان،
- الخنساء، ديوان، دار صادر بيروت.
- زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، الطبعة الثالثة، دار الشرق، بيروت، لبنان،1981.
- سعيد بوفلاقة ، دراسات في الأدب المغرب العربي، الطبعة الأولى، منشورات بونه سبحوت والدراسات، بونه، الجزائر، 2007.
- سميح أبو مغلي، العروض والقوافي، الطبعة الأولى، دار البداية، عمان، 2009.
- شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير، من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المكتب المصري للتوزيع والنشر، القاهرة، مصر، 2008.
- عباس، أحمد بن سعيد الدرجيني (من علماء القرن السابع للهجرة)، الجواهر، مخطوط، وهران، الجزائر.
- عبد المالك مرتاض، الأدب الجزائري القديم، دار هومه، الجزائر، 2009.
- العربي دحو، الأدب العربي في المغرب العربي من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية، دار الكتاب العربي، 2007.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي،

- المالكي، رياض النفوس،
- محمد البهيمي ، الفكرة الإسلامية في التطور.
- محمد الزحيلي، تعريف العام بعلوم الشريعة.
- محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد / دراسة تقادم وجمع وشرح ، سنة 2007.
- ابن منظور، لسان العرب، مطبعة بولاق، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2006.
- الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث،.
- ياسين بن عبيد، الشعر الصوفي الجزائري المعاصر، المفاهيم والإنجازات، 2007.
- ياقوت، الحموي: معجم البلدان،
- يحي جبور، الشعر الجاهلي وخصائصه وفنونه.